رسالة

فى تنزيه الله عز وجل

عن الغضب النفسانى

الفقير اليه تعالى

عبد السلام الحلوانى

هدية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المنفرد بالتوحيد . المبدئ المعيد . الفعال لما يريد . خالق الأشياء بقدرته ، وذالها بعزته ، قامت بكلمته كل المخلوقات . وقهر بجبروته جميع من فى الأرض والسموات له الملك وله الحمد حيث شاء وكما شاء . أستغفره وأتوب إليه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال ؛ يعلم الغيب وما قدره فى الآخرة وما يعلم الغيب إلا الله . وعالم الشهادة بما بين أيدى الخلق وهم عن حكمته وإرادته وقدرته جاهلون « وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين » وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله ، اصطفاه من بين خلقه من بدء تقدير الأشياء ، إلى نهاية العودة إليه ، فهو الرسول الأول والآخر . خلقه أول الأشياء بما بدأ وقدر ، وأرسله فى الآخر بكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد . فهو صراط الله المستقيم ، من تمسك به نجا ، ومن

خالفه ضل وغوى . أرسل الرسل بقوانين سماوية على وفق ما أراد ، وما قدر ، ليكمل لهم دينهم » ويعلمون أنه الحق المبين » فإذا نفذ قضاء الله لا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل . وقد حث الله سبحانه وتعالى فى كتابه على اتباع الرسول فقال تعالى : « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين عرفوا الله حق المعرفة ولم يتأولوا القرآن إلا عن معرفة ويقين وتوحيد صحيح وسلم تسليما كثيرا .

أما بعد : فقد سأل بعض الناس عن غضب الله ، وهل يصح نسبة الغضب إلى الله مع أنه منزه عن مشابهة الخلق ، والغضب من صفات الخلق ، وكذلك إثارة النفس؟ فأجبت : إن الله تعالى ليس بغضوب وأنه لا يغضب . فلم يرق هذا الجواب فى نظر بعض الحاضرين ، ومعروف عنه أنه من ذوى المعرفة بالتوحيد : وقال هذا كلام لا يقال ، فقد أنزل الله فى كتابه العزيز حيث قال : « وغضب الله عليه ولعنه » ثم غضب هذا العالم وترك السائل والمسئول على هذا الجواب ولم يرد على ذلك ولم يبين كيف هو غضب الله . ولم يوف الجواب حقه . . ولكنى وجدت أن هذا الأمر لا يصح السكوت عليه لما فيه من الحرج ، إذ لا يصح وصف الله

بصفات البشر التى لو نسبت إلى الله لكان ذلك نقصاً فى حقه وهو مالك الملك . فأردت أن أكتب فى ذلك شيئاً لأبين ماهو غضب الله . إذ من صفات الله المنتقم فهو قادر على الانتقام ، ومن صفاته الجبار والقهار ، إلى غير ذلك من صفات القدرة والعظمة ، فالعظمة والكبرياء والقدرة لله وحده . ولكنه قدر الأشياء ووضع الحدود وأنزل الكتاب وبين صفات الخالق وصفات الخلق وأفعالهم .

فإثارة النفس والغضب والرضا والحقد والحسد والمكر والخداع وما يوجب صفات النقص فكلها من صفات الخلق قدرها الله وقضاها عليهم ؛ وقبل أن أتكلم على كيفية غضب الله أسوق إليك نبذة مما ورد فى القضاء والقدر ليتكون عندك صفة غضب الله :

فقد قال الأشعرى رضى الله عنه فى كتاب الإبانه عن أصول الديانة مانصه : روى معاوية بن عمرو قال ثنا زائده قال حدثنا سليمان الأعمش عن زيد بن وهب عن عبد الله ابن مسعود قال : أخبرنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق أن خلق أحدكم يجمع فى بطن أمه فى أربعين ليلة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله الملك قال فيؤمر بأربع كلمات يقال اكتب أجله ورزقه

وعمله وشقى أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح قال : فإن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى مايكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل عمل أهل النار فيدخلها ، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى مايكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيختم له بعمل أهل الجنة فيدخلها.

وروى معاوية بن عمرو قال حدثنا زائده عن الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال (احتج آدم وموسى) قال موسى : يا آدم أنت الذى خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه أغويت الناس وأخرجتهم من الجنة قال فقال آدم : أنت موسى الذى اصطفاك الله بكلماته تلومنى على عمل كتبه الله علىّ قبل أن يخلق السموات . قال : فحج آدم موسى . وروى حديث حج آدم موسى مالك عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة عن النبى ﷺ .

وهذا يدل على بطلان قول القدرية الذين يقولون : إن الله عز وجل لا يعلم الشيء حتى يكون لأن الله عز وجل إذا كتب ذلك وأمر بأن يكتب فلا يكتب شيئاً لا يعلم ! جل عن ذلك وتقدس . وقال الله عز وجل : « وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين » وقال : « وما من دابة فى الأرض

إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها » وقال : « أحصاه الله ونسوه » وقال : « لقد أحصاهم وعدهم عدا » وقال : « أحاط بكل شيء علماً » وقال : « وأحصى كل شيء عددا » وقال « بكل شيء عليم » فذلك يبين أنه يعلم الأشياء كلها وقد أخبر الله عز وجل أن الخلق يبعثون ويحشرون وأن الكافرين فى النار يخلدون وأن الأنبياء والمؤمنين فى الجنان يدخلون وأن القيامة تقوم (ولم تقم القيامة بعد) فذلك يدل على أن الله تعالى يعلم ما يكون قبل أن يكون . وقد قال الله تعالى فى أهل النار : (ولو ردوا لعادوا) فأخبر عما لا يكون أن لو كان كيف يكون . وقال : (فما بال القرون الأولى قال علمها عند ربى فى كتاب لا يضلُّ ربى ولا ينسى) ومن لا يعلم الشيء قبل كونه لا يعلمه بعد تقضيه . تعالى عن قول الظالمين علواً كبيرا .

وروى معاوية بن عمرو قال ثنا زائده عن سليمان الأعمش عن عمرو بن مره عن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن عبدالله بن ربيعة قال : كنا عند عبد الله قال فذكروا رجلا فذكروا من خلقه فقال القوم : أما له من يأخذ على يديه ؟ قال عبد الله : أرأيتم لو قطع رأسه أكنتم تستطيعون أن تجعلوا له يداً ؟ قالوا : لا ! قال عبد الله : إن النطفة إذا وقعت فى

المرأة مكثت أربعين يوماً ثم انحدرت دما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث ملك فيقول : اكتب أجله وعمله ورزقه وأثره وخلقه وشقى أو سعيد ، وإنكم لن تستطيعوا أن تغيروا خلقه حتى تغيروا خلقه .

وروى معاوية بن عمرو قال : ثنا زائده عن منصور عن سعد بن عبيدة عن أبى عبد الرحمن عن على رضى الله عنه قال : كنا فى جنازة فى بقيع الغرقد فأتى النبى ﷺ فقعد ونحن حوله ومعه مخصرة له فنكت بها ورفع رأسه فقال : مامنكم من نفس منفوسة إلا قد كتب مكانها من الجنة أو من النار وإلا قد كتبت شقية أو سعيدة . فقال رجل من القوم : يارسول الله : أفلا نمكث على كتابنا وندع العمل فمن كان منا من أهل السعادة يصير إلى السعادة ومن كان من أهل الشقاوة فيصير إلى الشقاوة ؟ فقال : اعملوا فكل ميسر ، أما أهل الشقاوة فييسرون لعمل الشقاوة وأما أهل السعادة فييسرون لعمل السعادة ؛ ثم قال : « فأما من أعطى واتقى ، وصدق بالحسنى ، فسنيسره لليسرى ، وأما من بخل واستغنى ، وكذب بالحسنى ، فسنيسره للعسرى »

وروى موسى بن اسماعيل قال ثنا حماد قال أنا هشام ابن عروة عن عروة عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال :

إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة وأنه مكتوب فى الكتاب من أهل النار فإذا كان قبل موته تحول فعمل بعمل أهل النار فمات فدخل النار . وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار وإنه لمكتوب فى الكتاب أنه من أهل الجنة فإذا كان قبل موته تحول فعمل بعمل أهل الجنة فمات فدخل الجنة .

وهذه الأحاديث تدل على أن الله عز وجل علم مايكون أنه يكون وكتبه وأنه قد كتب أهل الجنة وأهل النار وخلقهم فريقين : فريقاً فى الجنة وفريقاً فى السعير ، وبذلك نطق كتابه إذ يقول : « فريقاً هدى ، وفريقاً حق عليهم الضلالة » وقال : « فريق فى الجنة وفريق فى السعير » وقال : « فمنهم شقى وسعيد » فخلق الله الأشقياء للشقاوة والسعداء للسعادة . وقال تعالى : « ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس »

وروى عن النبى ﷺ أن الله عز وجل جعل للجنة أهلا وللنار أهلا . وهناك دليل آخر : قال تعالى : « وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم » وجاءت الرواية عن رسول الله ﷺ أن الله عز وجل مسح ظهر آدم فأخرج ذريته من ظهره كأمثال الذر ثم قررهم بوحدانيته وأقام الحجة عليهم لأنه قال : « وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا » قال الله عز وجل : « أن تقولوا يوم

القيامة إنا كنا عن هذا غافلين » فجعل تقريرهم بوحدانيته لما أخرجهم من ظهر آدم حجة عليهم إذا أنكروا فى الدنيا ما كانوا عرفوه فى الذر الأول ثم من بعد الإقرار جحدوه .

وروى عن النبي ﷺ أنه قبض قبضة للجنة وقبض قبضة للنار ميز بعضاً من بعض فغلبت الشقوة على أهل الشقوة والسعادة على أهل السعادة . قال الله عز وجل مخبراً عن أهل النار أنهم « قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوماً ضالين » وكل ذلك بأمر قد سبق فى علم الله عز وجل ونفذت فيه إرادته وتقدمت فيه إرادته وتقدمت فيه مشيئته .

وروى معاوية بن عمرو قال زائده قال طلحة بن يحي القرشي قال حدثتني عائشة بنت طلحة عن عائشة أم المؤمنين أن النبي ﷺ دعى إلى جنازة غلام من الأنصار ليصلي عليه فقالت عائشة : طوبى لهذا يارسول الله عصفور من عصافير الجنة لم يعمل سوءاً ولم يدركه ! قال : أو غير ذلك ياعائشة إن الله عز وجل قد جعل للجنة أهلا وهم فى أصلاب آبائهم وللنار أهلا جعلهم لها وهم فى أصلاب آبائهم . وهذا يبين أن السعادة قد سبقت لأهلها والشقاء قد سبق لأهله . وقال النبي ﷺ « اعملوا فكل ميسر لما خلق له » وقال تعالى : (والله خلقكم وما تعملون)

فمن زعم أن العباد يعلمون مالا يعلمه الله عز وجل فكأنه قد أعطاهم من العلم مالم يدخل فى علم الله وجعلهم لله نظراء وكذلك من زعم أن العباد يفعلون ويقدرون مالم يقدره الله ويقدرون على مالم يقدر عليه فقد جعل لهم من السلطان والقدرة والتمكن مالم يجعله للرحمن ا تعالى الله عن قول آل الزور والبهتان والإفك والطغيان علواً كبيرا .. انتهى

وقد قال ﷺ : لو اجتمعت الأمة على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعت الأمة على أن يضروك لم يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك ، جفت الأقلام وطويت الصحف ـ فمن هذا يتضح أن كل شىء مقدور سواء كان من خير وشر ، وجزاء الخير الجنة ، وجزاء الشر النار ، وأن غضب الله هو المعاقبة على فعل الشر . وقال القرطبي : وليس منه سبحانه وتعالى مكر ولا هزء ولا كيد ، إنما هو جزاء لمكرهم واستهزائهم وجزاء كيدهم وكذا يخادعون الله وهو خادعهم فيسخرون منهم سخر الله منهم . وقال رسول الله ﷺ : إن الله لا يمل حتى تملوا ولا يسأم حتى تسأموا (قيل حتى بمعنى الواو أى وتملوا) وقيل المعنى وأنتم تملون . وقيل المعنى لا يقطع عنكم ثواب أعمالكم حتى تقطعوا العمل . وقال قوم : إن الله تعالى يفعل بهم أفعالا

هى فى تأمل البشر هزء وخدع ومكر حسب ماروى أن النار تجمد كما تجمد الأهالى فيمشون عليها ويظنونها منجاة فتنخسف بهم . قال والخداع من الله والاستهزاء هو استدراجهم بدرور النعم الدنيوية عليهم فالله سبحانه وتعالى يظهر لهم من الاحسان فى الدنيا خلاف مايغيب عنهم ويستر عنهم من عذاب الآخرة فيظنون الرضا وهو تعالى قد حتم عذابهم .

والغضب فى اللغة ثوران النفس إرادة الانتقام فإذا أسند إلى الله تعالى أريد به المنتهى يوم القيامة ونصب الميزان والعدل فى العقاب بما اقترفه الكافر جزاء كفره وما آتاه المؤمن من الذنوب فى عصيانه والغضب من المخلوقين شىء يداخل قلوبهم ومنه محمود ومذموم ، فالمذموم ماكان فى غير الحق ، والمحمود ماكان لجانب الحق والدين . وأما غضب الله فهو إنكاره على من عصاه فيعاقبه فالمعاقبة هى الغضب ، فالمنعم عليه من وفق لمعرفة الحق لذاته ووفق للعمل به فالمخل بالعمل فاسق مغضوب عليه . والله عالم بأعمالهم الصادرة عنهم ليجازيهم على حسبها كما قدرلهم أزلا . وقد قالوا : الغضب عدو فلا تملكه نفسك . وقال أبو هريرة رضى الله عنه : أن رجلا قال للنبى صلى الله عليه وسلم : أوصنى . قال : لا تغضب . فردد مراراً قال لا تغضب . رواه البخارى . فهل لا يعلم أن الغضب

مقوت ؟ فإن علمنا أن الغضب مقدور من الأزل فلا يصح أن ينسب إلى الله ثوران النفس وقت القدر وقد قالوا : إن الغضب يفسد الأسباب ولا يصح نسبته إلى الله تعالى وهو القاضي العادل . وإن قلنا أن الغضب حصل عند وقوع الذنب فلا يصح ذلك لأنه سبحانه وتعالى قد قضى وحكم وهو أحكم الحاكمين فلا يغضب لحكمه وقدره وهو يعلم خفيات الأمور قال تعالى « يعلم السر وأخفى » فيجب تنزيهه عن الغضب المثير للنفس وإن قدرنا أن الغضب يحصل وقت الحساب يوم القيامة فقد قدر العقاب وبيّنه وهو عالم به . فريق في الجنة وفريق في السعير . وإذا فغضب الله هو الجزاء المقدر في الأزل ولا يجوز مطلقاً أن تنسب إلى الله ثورة النفس ومشابهته للحوادث . وحينئذ تكون المعاقبة على فعل السيئات غضباً ولا يقال إن الله يغضب أي تثور نفسه . وفي هذا القدر كفاية . تعالى الله عن مماثلة البشر في الغضب والمكر والخداع « ليس كمثله شيء وهو السميع البصير » . ويجب على العبد أن يعلم أن الله تعالى قادر . له قدرة بها فعل ويفعل ما يشاء على وفق علمه واختياره ، ويجب أيضاً أن يعلم أن للعبد قدرة يكتسب بها ما أقدره الله تعالى عليه على مجرى العادة ، ولا يصح أن يكتفي الإنسان بأن الله قدر الأمور

فلا يفعل ما أمره الله به بل يلزمه أن يتوقى الوقوع فى المعاصى

قال المرحوم سيدى الوالد العارف بالله العلامة الشيخ أحمد الحلوانى رضى الله عنه :

إن التوقى ليس يغنى عنك من
شىء إذا كان القضاء محتما
لكنه أمر أمرت به فإن
خالفته خالفت جبار السما

ومما قاله تغمده الله برحمته :

على كل الورى يجرى القضاء
وليس خلاف ما حتم القضاء
فليس يسوقنا إلا القضاء
وليس يعوقنا إلا القضاء
يحركنا يسكننا القضاء
يجمعنا يفرقنا القضاء
يقربنا ويبعدنا القضاء
وينشرنا ويحشرنا القضاء
ويضحكنا ويبكينا القضاء
ويفصل بالقضا فينا القضاء

إلهى الطف بنا فيما القضاء
به يجرى إذا انحتم القضاء

وأسأل الله أن يغفر لى ولهذا العالم وأن يكون هذا الجواب كاف لما سئلت عنه ولا أكون قد أخطأت وأسأله أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين والسلام على من اتبع الهدى ؟

الفقير
عبدالسلام الحلوانى

كتبت فى ١٤ ربيع الثانى سنة ١٣٥٩
وطبعت فى ٨ رمضان سنة ١٣٥٩

مطبعة نشر الفضائل والآداب الإسلامية
٥١ شارع فؤاد : شبرا – مصر